الفصل الثانى
الفعل المعرفى والنقلة الحاسمة

١/٢-١. الأشياء والأقوال :

ابتداء يفترض فى الفعل المعرفى أنه ذلك النشاط العقلى الذى تمارسه ذات عاقلة قاصدة إلى الواقع (= الكون، الوجود، الطبيعة، العالم وأشياؤه على تعدد أجناس هذه الأشياء. . .). إن الوضع الأول للواقع، بعد الإقرار بكونه موجودا، هو أنه غامض، مجهول، معقد، متغير. . . وهذه "الخصائص" المزعجة التى تتقرر من أول بدء التواجه بين الذات العاقلة، تلك التى تحوز العقل (=الوعى) بما هو جملة ملكات ذهنية ووسائط حسية تشرط عمليات المعرفة وبين الواقع، إن تلك الخصائص إذن هى التى تستدعى الرد عليها فى صيغة استجابة. ولنا أن نتوقع فى هذه الحالة عدة أنماط من الاستجابات الممكنة. على أن ما يعنينا منها حالا هو نمط الاستجابة المعرفية. أى ما سنتحدث عنه على أنه الممارسة المعرفية. تلك التى سيكون لمهمتها الأساسية أن تتحدد فى نقل الواقع من وضعه الأول كما بيناه إلى وضع ثان، أى إلى الوضع المعرفى. فلا بد للواقع الجديد أن يتصف بخصائص الوضوح والمعلومية (القابلية لأن يعلم) والبساطة والثبات. . . لنسجل هنا أن هذه النقلة الحاسمة للواقع من وضع إلى وضع والتى تستفرغ فيها الذات العاقلة جهدها، ليست تؤول إلى مجرد فاعلية عقلية خالصة أو باردة! ولكنها تؤول فى العمق على ما يبدو إلى بعد وجودى أكثر تجذرا وغورا هو أقرب ما يكون إلى عملية "تثقيف الواقع". وعلى أية حال فهو مجلى ظاهر لما كنت نعته بالغريزة السيميائية [ضمن ٠/١-١]. تفصيلا، فإن الوضع الأول يعطى الانطباع عن واقع عدائى مستفز مهدد وخطير. . . بينما الوضع الثانى من شأنه أن يعطى الانطباع عن واقع مسالم تم ترويضه ومصالحته والارتياح له. من هنا سيكون الفعل المعرفى فى أوليته فعل تحويل وإنتاج وتأسيس.

على أن كل هذه العمليات وما إليها قد لا تعنى الواقع فى شيء! وأقل من ذلك أن تعنيه أحكامنا بالصواب والخطأ «فالواقع هو نفسه فقط، ومن السخف أن نتساءل أهو حقيقى أم زائف»(١). إذاك فإن الواقع الواقعى - أو ما نسميه الطبيعة - يستمر

كما كان دائماً، أى بعيدا عن خصائص الوضعين الأول والثانى معاً، حتى قبل أن يلتفت إليه الفعل المعرفى وأن ينتج بخصوصه أية معرفة أو أى منطق يرغم الأمور على مسايرته. وعلى رأى ديزانتى (J.T.DESANTI): «فليس ثمة أى سبب يلزم الطبيعة بالخضوع لقواعد منطقنا: إنها أوفر ثراء وأكثر تعقيدا من ذلك»[1] (٢). والحاصل من هذا أن الفعل المعرفى وهو مثلا ينتج إنما ينجز "إعادة إنتاج" الواقع الواقعى فى هيئة واقع متعقل أو معرفى بصرف النظر عن ثبوت الصلة بين الواقعين وعن درجتها إذا وجدت. وهذا حاصل مقتضاه أن الفعل المعرفى وهو يؤسس. إنما يؤسس نوعا من الواقع "الممكن". أما الواقع "الضرورى" أى ذلك المطابق لنفسه، فسيبقى دائماً على مسافة لازمة من صورته الممكنة[2] ومهما ستكون هذه الصورة متقنة «فإنها لن تقدر على ملاحقة الواقع، إنها بسيطة وفقيرة بالنظر لما للواقع من تعقيد لا نهائى ومن ثراء غير نافذ»، كما يذهب إليه من جهته المنطقى الشهير إ.غوبلو (E.GOBLOT) (٣).

١/٢-٢.مسالك التأسيس المعرفى:

١/٢-٢-١. أن نفكر هو أن نرتسم :

لا يخرج التأسيس المعرفى للواقع حتى فى أعلى مستوياته النظرية عن تعقيل أو سأقول- عن "مفهمة" (Conceptualisation) للواقع، «ألا تتباين معاملات الواقع - كما يؤكد باشلار - باختلاف المفاهيم واختلاف تطور المفاهيم وبمقتضى تصورات العصر النظرية»(٤). وربما كانت عملية المفهمة هذه هى نتاج عمليتين شديدتى التداخل وهما: التمثل (Representation) والارتسام (Schematisation) على أن أولاهما تبقى أقرب إلى الحالات النفسية الذاتية ولو فى بعض خصائصها (٥). بينما تميل الثانية

---

(١) نلاحظ قرابة هذه المعانى مع ما كان قد كتبه أحمد ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) «معلوم أن الحقائق الخارجية المستغنية عنا، لا تكون تابعة لتصوراتنا، فليس إذا فرضنا هذا مقدما وهذا مؤخرا، يكون هذا فى الخارج كذلك.» كتاب المنطق، ص٩٩ (انظر قائمة المراجع).

(٢) إن هذا التمييز بين الممكن والضرورى قريب فى وجه منه بين التمييز الذى يقيمه أوكتاف هامان بين "اللامعلوم" (I'inconnu) وبين "المحال علمه" (I'inconnaissable)، وحسب نظره فهذا التمييز هو ما يعطى الأساس للفلسفة الحديثة فى جملتها «أى فلسفة ديكارت، وليبنتز وكانط وأيضاً فلسفة بركلى وحتى هيوم، وكلها تتوجه إلى تقرير أن المعرفة عمل داخلى للذات المفكرة». انظر Les elements principaux... P.6.

إلى الاندراج فى العمليات العقلية الإجرائية على نحو أدق. ومن الواضح أن الباحث هنا قد لا يكون بعيدا تماما عن الموقف الإبستيمولوچى لدى كارل بوبر (K. POPPER) ونظريته فى العوالم الثلاثة التى ينظر من خلالها إلى الممارسة المعرفية. إذ لديه أن «العالم الأول هو العالم الفيزيائى أو عالم الحالات الفيزيائية، والعالم الثانى هو العالم العقلى أو عالم الحالات العقلية، والعالم الثالث هو عالم تعقل الأفكار بالمعنى الموضوعى، وهو عالم الأشياء الممكنة بالنسبة للفكر»(٦)، ومهما يكن من شأن هذه العمليات، فإن ما يستقر عليه الباحث هو أن التأسيس المعرفى لا مفر له من أن يكون فعل ابتناء أو ترسم سنقول إذن من **غوبلو** «ليس لنا من وسائل أخرى لفهم الأشياء اللهم إلا ابتناء الواقع وفق منطلقات نظرية: أن نفكر هو أن نرتسم (Penser c'est schematiser)» (٧). وليس بعيدا من هذا ما كان قد قعده لودفيج فيتنجنشتين فى "رسالة منطقية فلسفية" فهو هنالك يذكر فى بعض قضاياه.

« ١ . ٢ - إننا نكون لأنفسنا رسوما للوقائع.

١٢ . ٢ - فالرسم نموذج للوجود الخارجى.

١٣ . ٢ - إن الأشياء يقابلها فى الرسم ما يحتويه هذا الرسم من عناصر(..).

١٤١ . ٢ - إن الرسم [فى حد ذاته] واقعة.

٢٠٢ . ٢ - والرسم يمثل أمرا ممكنا من أمور الواقع فى المكان المنطقى (..).

٣ - الفكر هو الرسم المنطقى للوقائع.»(٨).

ما الذى يعنيه لدينا بالتحديد الارتسام؟ إنه رسم ذهنى ما عن الواقع أو عن جانب مخصوص منه، أى مجموعة وقائع أو ظواهر محددة فى هيئة خطاطة نظرية مفترضة أو ممكنة. ومن ثمة فلتلك الظواهر أن تتأسس كموضوعات بما هى ممكنات. تماماً بالمعنى الذى يقصده ل. فيتنجشتين إذ يقول: « ينشأ لدينا الانطباع أننا قد نفذنا إلى الظواهر على أن بحثنا ليس هو ما يتوجه إلى الظواهر ولكن - إذا أمكن التعبير - فهو يتوجه إلى الظواهر باعتبارها ممكنات، الأمر الذى يجعلنا نقول أن ما يقع تحت وعينا حقا إنما هو مجموعة الأقوال التى نؤلفها حول الظواهر»(٩)[1].

---

(١) ولعل فتنجشتين هنا ليس إلا مستعيدا لـش. س. بيرس الذى كتب «إنه يستحيل على تحديدنا للأشياء ويستحيل على أية واقعة من الوقائع أن تنتهى بنا إلى صحة حجة محتملة الصدق، كلا ولا يمكن لمثل هذه الحجة من ناحية أخرى أن ترتد إلى صورة مطلقة الصدق بغض النظر عن الوقائع ماذا عساها أن تكون». نقلا عن ج. ديوى المنطق: نظرية البحث (مرجع مذكور) ص٧١٨.

٢/١-٢-٢. المعرفة نص :

من شأن اعتبار الأمور على هذا النحو أن يفضى بنا إلى تأكيد أننا لا نعرف الواقع بأكثر مما نعرف معرفتنا ذاتها بخصوصه أو ربما بمناسبته! ومعرفتنا بالواقع تتقرر فى نهاية الأمر وباستعارة عبارة **فيتنجشتين** ذاتها كـ«مجموعة الأقوال التى نؤلفها حول الظواهر». فالأمر هنا ما يزال يتعلق بإعادة إنتاج الواقع (= واقع مفترض) ولكن هذه المرة فى صورة قول (Discours) أو مقال، أى المقال المعرفى أو العلمى. وبيان ذلك أن المقال المعرفى إنما يريد لنفسه أن يكون مسكن الحقيقة، على أن الحقيقة، أية حقيقة - بل واللاحقيقة أيضاً - لا مندوحة لها من أن تكون منطوقة «إن المنطوق (L'énnoncé) - وعلى رأى هايدغر (M.HIDGGER) - إنما هو محل وموقع الحقيقة (. . .) والحقائق واللاحقائق إنما هى منطوقات» (١٠). ويفيدنا ها هنا التحديد الذى يعطيه هايدغر للمنطوق، فهو يجعله ثلاثى الأبعاد.

١ - إنه قضية تفيد إخباراً.

٢ - هذا الإخبار الذى يحصل فى حضور الآخرين.

٣ - حضور الآخرين يحول الإخبار إلى اتصال. (١١).

ولعل هذا مما لا يحتاج إلى حشد البيانات عليه. يكفى أن نقرر أن «العلم إذا كان إخباراً عن حالة من حالات الواقع فلن يكون له أن يوجد البتة إلا مندرجا ضمن معرفة تعلن عن نفسها كمقال»(١٢). على أن ثمة ما يميز المقال المعرفى، وما يحتاج إلى إبراز. فهذا المقال يميل عادة إلى العزلة والتفرد أى إلى أن يقتطع نفسه عن مجموعة المقالات المجاورة أو المضادة أو المنافسة، التى تكون هى الأخرى نشأت بفعل استجابات نوعية للواقع الأول. ويأتى على رأس تلك المقالات المقال الدينى، المقال الفلسفى، المقال الأسطورى، المقال الأدبى النثرى أو الشعرى. . . إنما واحدة من خصائص المقال المعرفى - ولو أنه لا ينفرد بها - هى نفوره من الشفاهية. . فمن ثمة يأتى الطابع الكتابى الذى يلابس باستمرار الممارسة المعرفية بما يكاد يحول هذه الملابسة إلى قاعدة مفروغ منها . من الواضح فى هذه الحالة أن تؤدى بنا كتابية المقال المعرفى إلى القول بـ"النص المعرفى" أى إعادة الإنتاج النصية للموضوع المتعقل أو المرتسم.

٢/١-٢-٣. مستويات تعقل الواقع :[١]

تسمح لنا المعطيات السابقة بملاحظة وجود ثلاث مستويات يتدرج عبرها فعل تعقل الواقع من خلال ما تتم تلك النقلة الحاسمة. تعلن هذه المستويات متداخلة عن مكون جوهرى من مكونات الممارسة المعرفية، وهو المكون الذى سنصطلح عليه بـ**«نظام التعقل»**. أما هذه المستويات فى ذاتها فأحسب أنها تتقرر كما يلى:

أولا : مستوى الواقع الضرورى حيث الموضوع ما يزال فى الدرجة الصفر من موضعته أى أنه هنا مجرد "شىء". وعلى ذلك أقترح تسميته : "الموضوع الشيئى"[٢] .(L'objet-chose)

ثانيا : مستوى الواقع الممكن حيث تنشط فاعلية التعقل ومنه إعادة إنتاج الواقع معرفيا، من خلال اقتطاع جملة وقائع وموضعتها وتمثلها تمثلا معرفيا منهاجيا تبعاً لمجموعة شروط ومحددات. والموضوع ها هنا موضوع معرفى ممكن متمثل ومرتسم وسأقترح تسميته: "الموضوع المرتسم" (L'objet - Schema).

ثالثا : مستوى مشتق ومكمل للمستوى السالف. ويتعلق بتوفير إسنادات برهانية ومستندات اختبارية للموضوع المرتسم من خلال تأليفه تأليفا نسقياً متينا بما فيه من تجريد وترميز قائم على لغة علمية مثلى. وهنا كما سلف يكون الموضوع المعرفى قد أعيد إنتاجه مقاليا حيث سلك به فى بنية نصية محكمة بدرجة أو بأخرى وعلى ذلك أقترح تسميته: "الموضوع النصى: (L'objet - texte).

يمكننا التمثيل لتفاعل هذه المستويات باستعارة المثلث الدلالى الشهير بمثلث أوغدن - ريتشاردس (١٣) (triangle d'Ogden et Richards) فى الشكل التالى (شكل رقم٣).

---

(١) تسجل مستوياتنا بعض الشبه مع تحليل برثيلوفى (L'intelligence du sociale مرجع مذكور ص:١٥) دون التطابق معها.

(٢) نسميه موضوعاً لا من حيث أنه عُلم ولكن من حيث قابليته لأن يكون محلاً لأى علم.

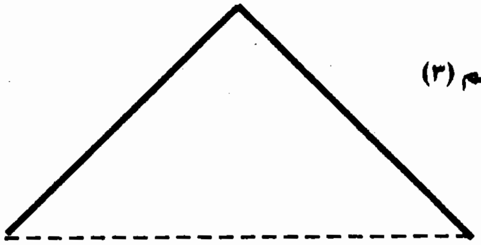

شكل رقم (٣)

٢/١-٢-٤. أطوار تخلق "صورة الموضوع" :

لعل هذه المستويات تكشف لنا أول ما تكشف أن الفعل المعرفى، بما هو فعل تأسيس، يسلك ومن خلال ما يعتمل فى صدور الفاعلين المعرفيين التاريخيين المتعينين من نيات ومقاصد وبواعث... وفق عمل مداورة أو إن جاز القول وفق "إستراتيجية التفاف" تنجح، أو هذه هى غايتها على الأقل، فى **إرغام** أشياء الواقع، رغم ما تعلن عنه هذه من عناد وخصوصا من فوضى (Chaos). علما أن «ذكاء كل إستراتيجية يكمن فى إحداث جملة آثار مرغوبة بالتوسل بمجموعة عمليات مدروسة»(١٤). ففى مواجهة تلك الفوضى، يلجأ الفعل المعرفى إلى آلية تحكم والتفاف عادة ما يشار إليها بمصطلح التخصيص (Spécification). إنها الآلية التى تنتج لنا استحصال صورة الموضوع. تلك الكيفية النسقية والمرتبة والنهائية التى تتخلق عبر اجتياز التخصيص لجملة أطوار دقيقة وحاسمة. تلك التى يبدو لى شخصيا أنها تتحدد وتتابع كما يلى: (ط = طور).

ط١ - ملاحظة أن ثمة مجموعة من العناصر المكونة للمادة العامة الأولية للواقع مشروع البحث.

ط٢ - استبقاء عناصر والتشديد عليها مع إقصاء عناصر أخرى أو إنكار وجودها كلية، أو على الأقل عدم الانتباه لوجودها. (= اللحظة ١ فى تاريخ الموضوع المرتسم).

ط ٣ - تقرير ما هو أساسى (مركزى، جوهرى، فاعل...)، وما هو ثانوى (طرفى، عرضى، منفعل...).

ط٤ - تقرير جملة من العلاقات الناظمة يتم بواسطتها التأليف بين المجموع العام للعناصر. ومن ثمة فإن البنية اللازمة عن نمط التعالق تولد وتنتج صورة الموضوع. علما أن **العلاقة** فى ذاتها هى أحد العناصر أو المكونات البنائية فتخضع بدورها لعمليات الاستبقاء والاستبعاد والتوجيه.

ط٥ - إدراج الصورة المنتجة فى نسق مفاهيمى دلالى (semantique) وقائى ومنسجم ومتين، يضمن برهانيتها[١] ومنطقيتها، أو علميتها على أن ينسج النسق وبإحكام على مساحة صياغة رمزية ونصية. علما أن الصياغة الرمزية هى فى ذاتها أحد المكونات البنائية فتخضع إذن للرقابة والتوجيه. يكون عليها أداء مهمة مزدوجة وحاسمة. فمن جهة عليها الحؤول دون ظهور نشازات (Anomalies) وفجوات أو تمانعات.. فى الصورة العامة للموضوع. ومن جهة ثانية يتكفل الصوغ النصى بالوظيفة الإعلامية أو الاتصالية، حيث لابد للموضوع النصى أن ينخرط فى حركة التداول المعرفى وأن يتلقاه المستقبلون المعرفيون[٢]، بكل ما يعنيه ذلك من توجسات المحاكمة والنقد وتوقعات الرد والمقاومة.

ط٦ - استبقاء خط التواصل (Contact) مفتوحاً بين الموضوع الشيئى والموضوع النصى ليس لإلغاء هذا الأخير أو التنازل عنه بالضرورة، ولكن لإمداد بالمزيد من الإسنادات الإخبارية ومن ثمة تثبيته. خصوصاً فى حالة إثارته لمقاومة واعتراضات الخصوم أو المستقبلين المعرفيين والثقافيين عموما.

- سيكون من المفيد لنا إيراد تمثيل صورى عن هذه الأطوار كما يلى:

ط ١- ليكن لدنيا الواقع (ع) واقعاً أولاً أو موضوعا شيئيا.

---

(١) القول العلمى زوج (ق، ڨ) حيث ق = القضية و ڨ = برهانها. قارن ديزانتى. (op. cit) p.359.

(٢) تبعا لرأى أرنست ماخ (E.Mach) «فالعالم يسأل سؤاله الأول للطبيعة من واقع خلفية معينة يعيها جيدا، وحين يتوصل للإجابة على سؤاله فإن عليه أن يضع معرفته أمام الأجيال اللاحقة حتى لا تنتهى المعرفة بانتهاء العالم..» نقلا عن: م ع محمد على، فلسفة العلوم (مرجع مذكور) ص٢٣.

يحتمل (ع) نظريا عدداً غير محدد ولا محصور من العناصر. ولكن بالنسبة لكل بحث لابد من افتراض كتلة محددة من جملة عناصر تدرج فى قائمة تبقى مفتوحة على جهتى التقلص والتوسع. سنفترض هنا العناصر التالية حيث.

(ع) = (أ، ب، ج، د، و، هـ، ى. . .).

يمكن الحصول من ٧ عناصر متمايزة على ١٩٧ صورة أولية أى مجموعة بما فيه المجموعات ذات عنصر واحد[١].

ط ٢ - (ع) = (أ، ب، د)[٢].

ط ٣ -

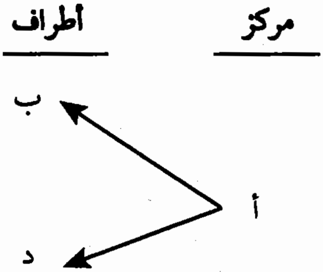

ط٤ -

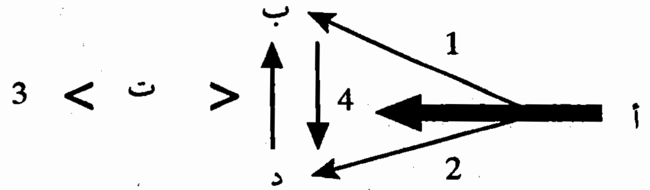

خطاطة نظرية (Schème théorique)

---

(١)«. . . إننا نقوم بعملية انتخاب فى التنوع الذى لا ينتهى، فمن الناحية المبدئية ما من وجه من الوجود ولا من عنصر من العناصر يمكن إهماله، فإذا عددنا بعضها كذلك فهذا تبعا لتوجه فضولنا ولغاية بحثنا» م. فيبر (M.WEBER). انظر ج. فروند علم الاجتماع عند ماكس فيبر ص ٤٩-٥٠ (الترجمة العربية - دمشق ١٩٧٦).

(٢) «تجميع "وقائع" بقصد إدراجها فى نظرية، هو فى ذاته إجبار للتجربة على أن تخضع لحد أدنى من تنظيم محدد بما فيه القرار بأن تهمل بعض مظاهر هذه التجربة، واختيار تنويع بعض العوامل بدلا من أخرى» (G.G.ranger Theorie et (e.t) experience P.347).

وتكون قراءتها:

١ - (أ) سبب فاعل لـ(ب) أو (ب) متولدة عن (أ) [أ ——◄ ب].

٢ - (أ) سبب فاعل لـ (د) أو (د) متولدة عن (أ) [أ ——◄ د].

٣ - (ب) و (د) يوجدان فى حال تفاعل < ت > [ب ◄——► د].

(نوع التفاعل تبعاً لنوع الواقعة).

٤ - (أ) يؤثر كما وكيفا فى < ت > ويراقبه [أ ——◄ < ت >].

(. . . ويمكن تحليل الخطاطة النظرية إلى علاقات فرعية أخرى).

ط ٥ - ترتيب مجموعة هذه العلاقات فى نظرية علمية بواسطة آليات الترميز (Codage) (من درجة فرعية على كون الترميز الأساسى تم عبر ط١ وط٢). والترييض والترميز والتقنين والأنسقة واللغة العلمية المثلى، ثم الإعلان عن النتائج عبر القنوات العلمية المعتادة (مؤتمرات علمية، حوليات، مجلات متخصصة، جمعيات علمية. .)[١].

ط ٦ - استبقاء التواصل النظرى والاختبارى بين ط ٤ و ط٥ من جهة وط ١ من جهة أخرى[٢] (١٥).

---

(١)«إن ترميزا ما ليس هو الوحيد الممكن، هذا فى حين أن الكتلة العامة للتجارب التى يعبر عنها تبقى هى ذاتها دون تغيير» [id.ibid P.347].

(٢) «فالفيزيائى لا يعرف الواقع حقاً إلا عندما يحققه. عندما يكون مسيطرا هكذا على الاستئناف الأبدى للأشياء». غ.باشلار، فلسفة الرفض (مرجع مذكور) ص٣٨. ولا بأس أن نؤكد أن المنظور التأسيسى (Constructivisme) ليس مقصورا - كما قد يحسب - على الممارسة المعرفية الفلسفية وما من قبيلها. ونسوق ها هنا مقتبسا للفزيائيين أ.أينشتاين ول. إنفيلد ولا أحد يشك فى صرامتهما المنهجية وهما إلى ذلك يؤكدان الطابع التأسيسى أو الإنشائى فى العلم الفيزيائى:« المفاهيم الفيزيائية إبداعات حرة للفكر البشرى. فهى ليست كما قد يعتقد، محددة أحاديا من جهة العالم الخارجى. ففى المجهود الذى نبذله لفهم العالم، نحن أقرب شبها بالشخص الذى يحاول أن يفهم آلية ساعة مغلوقة. إنه يرى الإطار والعقارب فى حركتها. ويسمع الدقات فى حين لا سبيل له إلى فتح العلبة. فإن كان على نحو من الذكاء، أمكنه أن يتخيل صورة ما عن الآلية التى سيجعلها مسئولة عن كل ما يلاحظه. على أنه لن يكون مستيقنا أبداً أن صورته هى الوحيدة التى فى مقدورها تفسير ملاحظاته. ولن يكون أبداً فى استطاعته أن يقارن صورته بالآلية الواقعية. بل لن يخطر له حتى أن يتمثل إمكانية أو دلالة مقارنة كهذه. .» A.Einste in et L.Infeld, L'evolution des idées en physique, FLAMMARION (Frc) 1982. PP. 34, 35.

١/٢-٣. ولكن أين السيميائية من كل هذا؟!:

سيكون علينا أن نخطو الخطوة الأخيرة وربما الحاسمة ما دمنا بعدها قد نتوصل إلى استعادة كامل الممارسة المعرفية ومن وراءها المنطقية استعادة سيميائية. سنحتاج هنا ولاشك إلى استدعاء مفهومنا المركزى أى "الدلالية" [١/١-٢] فلو أننا تفحصنا من خلالها مستويات التأسيس المعرفى الثلاثة ثم من بعدها خطوات العملية التخصيصية فى عامتها أى أطوار تخلق صورة الموضوع، أو ما اصطلحنا عليه بنظام التعقل، لتبين لنا أن ما تم فعليا فى خلال ذلك إنما هو تفريغ الواقع من "اللادلالة" وشحنه فى المقابل بـ"الدلالة" (=الانتقال من الشىء إلى الموضوع). والحال أننا بالتفاتنا إلى هذه الخاصية من الممارسة المعرفية نكون قد لمسنا عصب الحياة فى كلية تلك الممارسة. ومن ثمة نكون قد ميزنا ضمنها آلية الاشتغال المحورية. فكما يقول ا. موران: «كل معرفة تشتغل وفق انتقاء **المعطيات الدالة** وإهمال المعطيات **الفاقدة الدلالة**: إنها تفرق (تميز أو تفصل) تجمع (تزاوج أو توحد) ترتب (الأساسى، الثانوى) تمركز (تبعا لنواة من التصور المهيمنة)(١٦).

نستطيع القول إذن أن إقرار الدلالة لمعطيات ونفيها عن أخرى، يعنى أن ثمة مبدأ موجها يحكم هذه العملية فى سائر خطواتها. إنه المبدأ الذى تؤسسه **الحاجة إلى المعنى**. وهى حاجة تضرب بجذورها فى عمق تلك الغريزة السيميائية التى كنا ألمحنا لها فى مدخل هذه الدراسة [٠/١-١]. ومن ثمة فالحاجة إلى المعنى حاجة وجودية عميقة تتخلل الذات الواعية فى كامل حالاتها وأنشطتها مهما كان حقلها. إلا أنها فى حقل الممارسة المعرفية ألح وأوكد وأكثر تفردا. ذلك لأن «كل معرفة تهدف فى الواقع إلى بناء نسق من العلاقات بين العناصر المكونة لحقل التجربة، ويجب على هذه العلاقات عندما تصبح قيد الملاحظة وبديهية أن تؤدى معنى ما»(١٧). على أن القول بثبوت مبدأ المعنى فى أصل الممارسة المعرفية لا يحل المشكلة (=لماذا هناك معرفة؟) ولكنه يفتتحها! فأولاً يبدو مبدأ المعنى مزدوج الطابع: فهل هو مبدأ سببى فتأتى الممارسة المعرفية كنتيجة حاصلة عنه؟ أم هو مبدأ غائى تنشأ تلك الممارسة بعيدة عنه فتسعى جاهدة للتحقق به؟ وهو ما يفضى بنا - ثانياً - إلى سؤال أكثر دقة وإلحاحا: ما هو مصدر المعنى الذى تتلبسه الظواهر وتنطق به الأشياء والعناصر تلك التى نكون قد أعدنا ترتيبها فى الموضوع المرتسم، ومن بعده فى الموضوع النصى؟

وهو فى ذاته سؤال محورى بالنسبة لاستقصاءاتنا النظرية بين يدى مقاربتنا السيميائية للمنطق الأرسطى. وأرى أن أفرد لمباحثه فصلا مستقلا وهوالفصل الموالى.

حواشى الفصل الثانى

(١) وايتهيد (أ. نورث)، مغامرة الأفكار، (تر: أ. حسن زكى) دار مكتبة الحياة (لبنان) ١٩٦٦، ص ٣٧٣.

(2) Desanti (J.T), La raison scientifique, in: les interrogations contemporaines, FAYARD (Frc) 1980, P.356.

(3) Cite in: Lalande (A), Vocalulaire technique et critique de la philosophie (14em edt), P.U.F 1983, P.952.

(٤) باشلار (غ) فلسفة الرفض (مرجع مذكور) ص٤٤.

(٥) فى الكتاب الكلاسيكى الذى اختص به أ. هاملن مسألة التمثل: "بحث فى العناصر الأساسية للتمثل". (op. cit) فهو يرى أن «التمثل النظرى وتبعا لما يهيمن فيه إما الموضوع وإما الذات وإما التوفيق بينهما، فإنه يتوزع بطبيعة الحال إلى تمثل موضوعى، تمثل نظرى وتمثل منطقى»ص٢٨٢.

(٦) انظر محمد على (ماهر عبدالقادر) فلسفة العلوم، ج٢، دار النهضة العربية (لبنان) ١٩٨٤، ص٣٨.

(7) Goblot (E), cite in : Lalande (A) op. cit, P.951.

(٨) فتنجشتين (ل) رسالة منطقية فلسفية (مرجع مذكور)، ص ص ٦٧. ٧١.

(9) Wittgenstein (L), Recherches philosophiqes No 90, d'apres Mauro (T.de) Une introduction a la semantique, PAYOT (Frc) 1969, P.166.

(10) Heidgger (M), qu'est ce qu'une chose? GALLIMARD (Fec) 1971, P.46.

(١١) نفسه، ص٤٧.

(12) Berthelot (J.M), op. cit P.15.

(13) Taha (A), Langage et philosophie, Imp Fedala (Maroc) 1979, P111. voir aussi Durand (J), op. cit, P60, en particulier le prg : dialectique de la realite, de la representation et de la communication (P.62).

(14) Charaudeau (P), op. cit, P.50.

(15) Cf : Blanché (R), Raison et discours, Lib. Phil J.VRIN (Frc) 1967, P.148.

(16) Mourin (E), op.cit, P.16.

(١٧) جيرو (ب) مرجع مذكور، ص ٩٤.